﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾ [العنكبوت: 11]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

العلمُ بما في الصُّدور يتبعه الابتلاء لكشف ما قرَّ فيها

بعد أن ذكر النَّظمُ الجليل أنَّ الأذى ما هو إلّا فتنةٌ أتبع ذلك ببيان أنَّ الفتنة إنَّما هي ابتلاءٌ من الله تعالى يختبر بها عباده؛ ليستبين صادق الإيمان من المنافق، الذي يدَّعي الإيمان قولًا لا فعلًا[1]، ومن المناسبة كذلك أنَّ النَّظم بعد أن بيَّن أنَّ الله تعالى يعلم ما في صدور العالمين على العموم؛ أتبعه بتخصيص ذلك، فبعد عُموم العالمين خصَّ منهم فريقين، اهتمامًا بهما وببيان حاليهما؛ لأنَّ الجزاء يترتَّب على العلم بما في صدور هذين الفريقين من الإيمان الصّادق والإيمان الَّذي هو مجرَّد دعوى كاذبة[2]، ومن المناسبة أنَّه تعالى "لمّا بيَّن أنَّه أعلمُ بما في قلوب العالمين؛ بيَّن أنَّه يعلم المؤمنَ المحقَّ، وإن لم يتكلَّم، والمنافق وإنْ تكلَّم، فقال: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ١١﴾[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الابتلاءُ لبيان مكنون القلوب سنَّةٌ إلهيَّة ماضية

يُقرُّ النَّظم الجليل حقيقة كونيَّة مؤكَّدة بأنَّ الله تعالى سيختبر عباده بالسَّرّاء والضَّرّاء؛ ليميز بذلك صادقَ الإيمان من المنافق، ومَن يطيعُ اللهَ في كلِّ حال، فيصبر على البأساء؛ إذا مسَّته، ومن يعصيه؛ إذا حزبه الأمر، واشتدَّ به الخطب[4]، أي: واللهِ ليختبرنَّ اللهُ عبادَه؛ ليظهرَ الصّادقُ من الكاذب، والمؤمن من المنافق.

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 120.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 218.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 35.
(4) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 20/ 120.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

فائدةُ العطف بالواو:

الإيمانُ الحقُّ ظاهر لعلم الله تعالى من الإيمان الزّائف

عطف النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ على ما أفهمه السّياقُ في قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، أي: فقد علم الله تعالى ما أخفوا، وما أعلنوا، وليعلمنَّ الذين آمنوا[1]، وفائدة هذا العطف التَّنبيهُ والتَّأكيد على عدم التباس الإيمان الصَّحيح بالإيمان الزّائف[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالعلم، وصوغه مضارعًا:

يعلمُ الله تعالى حقائقَ النّاس فيجازيهم على ما علم منهم

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ العلم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ الله تعالى يعلم حقيقة كلِّ فريق منهم وصدقه وكذبه؛ لأنَّ العلم هو إدراك الشَّيء بحقيقته[3]، والمرادُ من العلم هنا لازمه، فهو كنايةٌ عن مجازاتهم على حسب ما علم الله تعالى منهم[4]، وجاء التَّعبيرُ بالفعل المضارع للدَّلالة على تحقُّق لازمه في المستقبل، فالمجازاة واقعةٌ يوم القيامة لكلا الفريقين، كما أنَّه يدلُّ على تجدُّد العلم بحالهم، فمن صبأ منهم؛ فإنَّ الله يعلم بحاله.

دلالةُ التَّأكيد في ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾:

الجزاء المبنيُّ على علمه تعالى بحالهم محقَّق الوقوع

أكَّد النَّظمُ الجليل الجملةَ الدّالَّة على العلم في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ باللّام الموطِّئة للقسم، وبنون التَّوكيد الثَّقيلة، والغرض: أنَّ المنافقين لمّا ظنّوا أنَّ الله تعالى لا يعلم ما تكنُّ صدروهم من النِّفاق ردَّ عليهم بجملة

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 400.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 218.
(3) الرّاغب، المفردات: (علم).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 218.

مؤكَّدة لنقض إنكارهم، وليقلعوا عن نفاقهم، ويتَّبعوا سبيل المؤمنين الثّابتين على الحقِّ[1].

دلالةُ التَّصريح باسم الجلالة:

المحيطُ بكلِّ شيء علمًا لا يعزب عنه حال المؤمنين والمنافقين

أسندَ النَّظمُ البليغ العلم إلى لفظ الجلالة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ للدَّلالة على تفخيم علمِهِ وتعظيمه، فالله تعالى هو المحيط بكلِّ شيء علمًا وقدرة، وهو عالم الغيب والشَّهادة[2]، ففيه إيماءٌ بانكشاف أمرهم وظهور حقيقة إيمانِهم وتأكيد ذلك.

علَّةُ التَّعبيرِ بالموصول ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

المؤمنون اشتهرت صفة إيمانهم

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن المؤمنين بالاسم الموصول في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ لما في الموصول من إشارة إلى شهرة إيمانهم[3]، بحيث إنَّهم عُرفوا به، فصاروا معهودين بالإيمان.

دلالةُ التَّعبيرِ بالإيمان وصوغه ماضيًا:

ثبت إيمانُ المؤمنين حتّى صار حقيقةً مدركة

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل الماضي عن الإيمان في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ للدَّلالة على تحقُّق إيمانهم، وأنَّ إيمانهم حقٌّ مؤكَّد[4]، والماضي أنسب في سياق إثبات صفة ما في الموصوف.

نكتةُ حذف متعلّق الإيمان:

مطلقُ الإيمان يشمل كلَّ ما في القرآن

حذف النَّظمُ البليغ متعلِّق الإيمان، في قوله جلَّ شأنه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، فلم يقل: (آمنوا بالله ورسوله) مثلًا؛ وذلك للاهتمام بمطلق الإيمان، فالسّياق على صدق الإيمان من زيفه، وهذا لا يحوج لبيان المتعلِّق، كما أنَّ عدم ذكر المتعلَّق يشير إلى إعمام الإيمان،

(1) طنطاوي، التّفسير الوسيط: 11/ 18.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 14/ 400.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 218.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 18.

فيشمل كلَّ الغيبيّات، ثمَّ إنَّ حذفَ المعروف بالاعتماد على شهرتهِ إيجازٌ بليغ، فمعلوم أنَّ المراد هو الإيمان بنبوَّة النَّبيِّ ﷺ، وبما أخبر به من صفات الألوهيَّة وحقوقها والغيب كلِّه.

معنى (الواو) في ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾:

علمُ الله تعالى بالمنافقين يقرِّرُ علمَهُ تعالى بالمؤمنين

عطف النَّظمُ الجليل جملةَ القسم على العمل بالمنافقين على العلم بالذين آمنوا في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾، وفائدةُ العطف تقريرُ مضمون الجملة الأولى، وتأكيدُ علم الله تعالى بكلا الفريقين، أي: "والله ليميزنَّ الله بين الطائفتين، ويُظهر إخلاص المخلصين ونفاق المنافقين، فيجازي الفريقين"[1].

وجهُ تَكرارِ فعل العلم مؤكَّدًا:

تأكيدُ العلم ردٌّ على جهل المنافقين

كرَّر النَّظمُ الجليل فعلَ العِلم مؤكَّدًا، في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ وذلك لزيادة تأكيد علمه تعالى، لتقوية الرَّدِّ "على دعاوى ضعاف الإيمان بأقوى أسلوب، وأبلغه، حتى يقلعوا عن نفاقهم، ويتَّبعوا المؤمنين الصادقين في ثباتهم"[2]، فلمّا اعتقد المنافقون أنَّ الله تعالى لا يعلم ما يسرّون من الكفر؛ ردَّ عليهم بتكرار تأكيد العلم، فظهر أنَّ المقصود من الجملتين المؤكَّدتين هو تأكيد علمه تعالى بالمنافقين[3].

دلالةُ التَّعبير بالنفاق بصيغة اسم فاعل:

صفةُ إظهارِ الإيمان وكتمان الكفر راسخةٌ ثابتة في المنافقين

عبَّر النَّظمُ الجليل بلفظ النِّفاق في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّهم قومٌ يدخلون في الإسلام ظاهرًا، ويخرجون منه سرًّا في قلوبهم، فالنِّفاقُ: هو الدُّخولُ في الشَّرْعِ من

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 172.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 18.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 218.

بابٍ، والخروجُ عنه من بابٍ[1]، وجيء به بصيغة اسم الفاعل للدَّلالة على أنَّ النِّفاق صفةٌ ثابتة فيهم.

بلاغةُ الطِّباق بين ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، و﴿ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾:

الـجـمـعُ بـين النَّقيضين يظهر ميزة المؤمنين

جمع النَّظمُ الجليل بين الإيمان والنِّفاق في عبارة واحدة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ على وجه المطابقة بين النَّقيضين، وذلك للتَّنبيه على جزاء كلِّ فريقٍ، ويدلُّ على أنَّ النِّفاق مناقضٌ للإيمان؛ إيماءً للمؤمنين بالثَّبات على إيمانهم.

بلاغةُ الكنايةِ بِعِلمه سبحانه بالمثوبة:

جـزاءُ النّـاس يـوم الحساب مبنيٌّ على العلم بأحوالهم

كنّى النَّظمُ الجليل بلفظ العِلم المؤكَّد في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ عن المجازاة، فإنَّ العلمَ بحال أحدٍ ما يلزم منه الفعل بما يناسبه، فلمّا علمَ اللّه تعالى إيمان فئة ما؛ فإنَّ إيمانَهم يقتضي مكافأتهم، وأنَّ نفاقَ فئة أخرى يقتضي جزاءهم بالعقاب الشَّديد، فالمرادُ من العلم هنا لازمه، فهو كنايةٌ عن مجازاتهم على حسب ما علم اللّه تعالى منهم[2].

(1) الرّاغب، المفردات: (نفق).

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 218.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والأربعون،
سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 42 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-93-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 42 : المجلد الثاني والأربعون، سورة العنكبوت من الآية 04 إلى سورة الرّوم الآية 07.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-93-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2154237 بتاريخ 2024/12/25م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»